بلاغة الإيجاز في مُقطّعات الفرزدق

م.د. صالح مجيد علي الخزرجي
جامعة وارث الانبياء

الملخص:

إنّ المهمّة الرئيسة لهذا البحث هي الكشف عن بلاغة الإيجاز في مُقَطّعات الفرزدق التي لم تحوِها النُسخُ المختلفة من ديوان الشاعر الفرزدق، وقد بُذلت جهودٌ من أجل جمع ما تناثر في مصادر أدبية كثيرة : قديمها وحديثها ، وقد رُتبت تلك المُقَطّعات والأبيات على طريقة الدواوين ، وهي إلتزام حرف الروي ، وأخرجت بحسب مصادرها وقد قسمت بحثي هذا على فقرتين: تناولت في الأولى شيئاً عن البلاغة قديماً ونظرة الأسلوبيين لها حديثا ، ثم أشرت إلى أحد أساليبها وهو الإيجاز فيما كانت الثانية إجرائيةً وتخصّ مقطعات الفرزدق. راجين ان يستوفي هذا العمل شروط البحث العلمية ...

Abstract

The main task for this research is discovering rhetoric of brevity poems of Farazdaq which do not exist in his dewan a lot of effort were done to collect them in many literary sources both ancient and recent.

The poems were order a cording to way of collection his diwan.

Finally; I hope this work meets the requirements of scientific research.

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين وصلّى اللهُ على خَاتمِ النبيين وعلى أهل بيتهِ الطيبين الطاهرين وَصْحبه المنتجبين ، وبعد ..لُغَتُنا العربية لغة تضمّ الملايين من المفردات المستعملة وغير المستعملة، فهي واسعة جداً ، ومن مميزاتها الإيجاز بوصفه ملمحاً بلاغياً ، ومن مظاهره

الحذف ، والإختصار ، والتكثيف ، والإشارة.حاولنا مقاربة الإيجاز بمظهريه الرئيسين : الحذف والقِصَر (الإختصار) من مُقَطّعات الفرزدق الغني عن التعريف .. وآثَرْنا تناول مقطعاتهِ التي لم تُذكر في ديوان شعره على اختلاف المحققين .. على هذا جاء عنوان البحث : ((بلاغة الإيجاز في مقطعات الفرزدق))

وقد اعتمدنا المنهجَ الوصفي الذي يتبعُه التحليل في ضوء ما تقدّمه البلاغة من إضاءات في هذا الميدان .. وهكذا كان البحث بفقرتين :

الأولى : مِن بلاغة الإيجاز

والثانية : الإيجاز في مقطّعات الفرزدق

وتبعتهما خاتمة وتقدمهما ملخص ومقدمة ... وبعد فإنّ هذه القراءة هي محاولة لتسليط الضوء على بلاغة الإيجاز في مُقَطّعات الفرزدق .. واختيار نماذج معينة منها ...

أولاً : من بلاغة الإيجاز

الغايةُ من البلاغة وعلومِها المختلفة تشريعيةٌ وتعليمية وهي قياسيةٌ تستندُ إلى قواعدَ ثابتة لا يمكن تجاوزُها ، ومعياريةٍ تراثية متوازية مع العلوم الأخرى ، أمّا الأسلوبية فغايتها بحثية وصفية تستطيع النفاذ إلى أعماق المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية الموجودة في النص دون النقد وإنّما تقوم على تقرير الظواهر على خلاف البلاغة التي تتناول النقد أيضاً، وبالإمكان تلاؤمها مع النظرة الجديدة للتطور ومسايرة التسابق العلمي المستمر والغوص إلى تراكيب اللغة ، وصُورِها المختلفة ، وبذلك تَبْطُل نظرةُ الأسلوبيين بأنّ الأسلوبيةَ وريثةُ البلاغة وينبغي أنْ تَحلّ مَحلَّ البلاغة.. لماذا لا تكون الأسلوبيةُ وليدةَ البلاغة التي يمكن مراجعةُ أطروحتها بما يتلاءم مع النظرة الجديدة ؟!

حاولنا عِبر هذا البحثِ أنْ نتناولَ أُسلوباً من أساليب البلاغة متمثلاً (بالإيجاز) الذي تناولَه قديماً كبارُ علماءِ الادب والنقد العرب ، مثل الجاحظ في كتابيه : (البيان والتبيين) و (الحيوان) وعبد القاهر الجرجاني في كتابيه:

(دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) .. ومن كتب المحدثين (النظرية الشعرية) لجون كوهين ، و (البلاغة والأُسلوبية) لمحمد عبد المطلب ، ذلك باختصار شديد ما يتعلّق بين البلاغة والأسلوبية ، ومن جهةٍ أخرى يمكن أنْ نُشيرَ إلى مقاربة الشعرية للبلاغة للإرتباط بينهما منذُ زمن بعيد و ((ظلّت صفة (شعري) لمدة طويلة مواجهةً لصفة ((بلاغي))))[1]، فهناك تلازمٌ وثيقٌ بين البلاغةِ والشعرية وتواصلٌ بينهما لم يَنْقَطعْ ، وإنَّ (البلاغةَ قد قَدَّمتْ للنظرية الأدبية المعاصرة أُفقاً نظرياً كاملاً ، ومنظوراً ، وطريقةً لرؤية ما هو أدبي ، وفهمه ، وقد

انطبع هذا – بصورة ضمنية في غالب الأحيان – على جزءٍ كبير من مدارس الشعرية اللغوية)[٢]، وبما أنَّ البلاغةَ مأخوذةٌ من التبليغ فإنَّ الخطابَ يتناول الإيجازَ أحياناً بوصفه مَلْمحاً بلاغياً ، وقديماً قال بليغ العرب أكثم بن صيفي : إنّ (البلاغة الإيجاز)[٣].

ويُقسّمُ الإيجازُ على قسمين رئيسين :

آ – إيجاز الحذف.

ب– إيجاز القِصَر (الإختصار).

والإيجاز في اللغة : الإختصار ، وقد قال ابن منظور : (وَجُزَ الكلامُ وَجازةً ووَجْزاً ، وأَوْجَزَ : قلَّ في بلاغة ، وأَوْجَزَه : أختصره)[٤].

أمّا الإيجاز في الإصطلاح ، فهو (أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارفة الأوساط)[٥].فالإيجاز فنٌ بلاغي يَحْتَقِبُ قدرةً لغويةً ، هدفهُ بُلُوغُ المعنى بأقلِ لفظٍ ممكن على أنْ يَدُلَّ اللفظُ القليلُ على معنى كثيرٍ دلالةً واضحة[٦]، وشرطُ الإيجاز عدمُ الإخلال بالمعنى مع التعبير الكامل والواضح عن المعنى المقصود بأقل عدد من الكلمات ، أي (تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى)[٧] .. وذلك يَتَجَسّدُ بصيغتين :

الأولى :

تتميّز بـ (تقليلِ الألفاظ ، وتكثيرِ المعاني)[٨] دونَ حَذْفٍ للألْفاظ وهو (إيجاز القِصَر) ، وواضحٌ قيامُه على تكثيف المعاني بأسلوب لغوي بأقل ما يمكن من الألفاظ ..

أمّا الثانيةُ :

فتتميّزُ بإسقاط جُزءٍ من الكلام[٩]، وهو ما يسمّى (بإيجاز الحذف).. وباختصار فأنّ إيجازَ القِصَر يقوم على التكثيف ، وإيجازَ الحذف يقوم على الإجتزاء.. يتبيّن مما تقّدم: أنَّ الملمحَ البلاغيِ للإيجاز يُمَثّلُ قيمةً جماليةً ، لأنَّ (الجملةَ البلاغية ليست مجردَ شكلٍ لغوي يؤدي وظيفةً ما ، وإنّما هي في الوقتِ نفسِه تصوّرُ هذه الوظيفةَ بجماليةٍ شفّافةٍ في نَمَطٍ من الأنماط)[١٠].

نوعا الإيجاز : آ– إيجاز الحذف ، ب– إيجاز القِصَر

آ / إيجاز الحذف : الحذف لغة هو الإسقاط.[١١]

أمّا الحذف اصطلاحاً فهو إسقاط كلمة أو أكثر في نصٍّ من النصوص التي يبحثُها علم النحو ، أو الصرف ، أو العروض .. وغيرها[١٢].

وقد ذكر ابنُ جنّي: في الخصائص: ((والحذف من شجاعة العربية))[١٣]، وقال أيضاً: ((وقد حذفتِ العربُ الجملةَ والمفردةَ ، والحرفَ والحركةَ، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه ، وإلاّ كان فيه ضربٌ من تكليفِ علم الغيب في معرفته))[١٤].

أي إذا وقع لَبْسٌ في المعنى من جَرّاء

الحذف فذلك هو الحذفُ القبيحُ الذي يُعرفُ بـ (الإخلال) ، وهو ((أنْ يُتركَ من اللفظِ ما به يتمُّ المعنى))[١٥].

أمّا فوائد الحذف ، فهي:

١. الإختصار.

٢. التنبيه على أنّ الإشتغالَ بذكر المحذوف يؤدي إلى تفويت المهم ، وهذه هي فائدة التحذير والإغراء[١٦].

٣. التفخيم ، والتعظيم لما يحيط الحذفَ من الإبهام.

٤. التخفيفُ لكثرة دورانه في الكلام.

٥. شهرتهُ حتى كأنَّ ذكرَه وعدمَهُ سواء.

٦. عدمُ ذكره تشريفٌ له.

٧. حفظُ اللسانِ من ذِكرهِ لحقارته.

٨. قصدُ العموم.

٩. رعايةُ الفاصلة.

وبعد الإشارة لمعنى الحذف، وإيجاز الفوائد، نشير إلى أنواع الحذف، وهي:

١. الإقتطاع : ويعني حذفَ بعض حروف الكلمة لغرض التخفيف ، لأنّه يؤدي لخفّة اللّسان عند النطق.

٢. الإكتفاء : هو أن يُكتفى بأحد شيئين متلازمين لنكتة معينة .

٣. الإختزال : ويشمل حذف كلمة واحدة أو أكثر سواء كانت الكلمةُ اسماً أو فعلاً أو حرفاً.

٤. الإحتباك : وهو أقرب الى الدراسات البلاغية من غيرها للطافته لأنّه يتضّمن قوة التعبير والحِبكةَ في الكلام ؛ ولأنَّه يؤدي إلى حذف كلام له نظيرٌ في النص[١٧].

إنّ الحذفُ يشملُ جُمَلاً وكلماتٍ مفردةً .. ويتمُّ الحذفُ عبر أساليب مركبة لاغراض التخفيف ، ولتجنُّب طولِ الكلام ، ولمنع التكرار.

ويَشمل الحذف : الشرط ، والقسم ، والمفعول به ، والجملة الحالية ، وجملة العطف ، والمصادر، والجار والمجرور ، وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وإقامة المصدر مقام الفعل، والفاعل، والمبتدأ، والخبر، والصفة ، وإقامة الموصوف مقامها ، وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه، وحذف المضاف إليه ويُقتصر على ذكر المضاف.

ب- إيجاز القِصَر:

علمنا أنَّ الإيجاز ملمحٌ لغويٌ أساسُهُ الإختزالُ والعدولُ الكمي بالنقصان وعِبره يتمُّ ((الإحساس بقدرةِ اللغة على تجاوز دلالاتها المباشرة؛ والصريحة لتستحيلَ تلميحاً بالمعنى يتطلّب إدراكهُ النظرَ مع الإقرار بالإمكانات المتعدّدة في فهم النص))[١٨].. ويكون الإيجازُ بصور متعدّدة ، بعضُها يكون بـ (تقليل الألفاظ وتكثير المعاني)[١٩] ، وذلك خالٍ من الحذف ، وهو ما يدعى بـ (إيجاز القِصَر) إذ لا يحذف من التركيب بل يقوم هذا اللون من الإيجاز على تكثيف المعاني بلفظ قليل نسبة إلى المعاني التي يَتَضمَّنُها..

وقد تناول إيجازَ القِصَر قديماً أبو هلال العسكري (ت٢٩٥ هـ) ، فقال : ((أن يكونَ اللفظُ القليلُ مشاراً به إلى معانٍ كثيرةٍ بإيماءٍ إليها ولمحةٍ تُدلُّ عليها))[٢٠].

وعَرَّفه الباقلاني (ت ٤٠٢ هـ) ، فقال : ((اشتمالُ اللفظِ القليل على المعاني الكثيرة))[٢١].

مما تَقَدّمَ يَتَّضِحُ أَنَّ إيجازَ القِصَر (أغمضُ من الحذف)؛[٢٢] وذلك بسبب تعبيره عن كامل المعنى بعدد أقل من الكلمات بلا حذف في بناء الجملة ، وقد أكثَرَ القدماءُ من البلاغيين بتفصيل الإيجاز والتشعّب بتعريفاته وهي متقاربة مع بعضها ، أمّا المحدثون من البلاغيين فلا نجدُ بينهم كثيرَ اختلافٍ في فَهم البلاغيين المتقدمين لإيجاز القِصَر ، فقد عَرّفَـهُ الشيـخُ محمد بسيوني بأنّه ((تقليلُ اللفظ وتكثيرُ المعنى بلا حذف))[٢٣]؛ فلا نرى فروقاً تُذكر في فهم المتقدمين من البلاغيين والمحدثين منهم للإيجاز عامة ، ولا سيما إيجاز القِصَر فهو ((أعلى طبقات الفصاحة مكاناً وأسماها منزلةً))[٢٤].

وقد تناول الأسلوبيون مفهومَ إيجاز القِصَر من باب العلاقة بين اللفظ والمعنى، فما طال معناه وقَصُرَ لفظُه فهو إيجاز قِصَر، وما حذف من اللفظ مع عدم الإخلال بالمعنى فهو إيجاز حذف ، لذلك فإنّ ما عبّر عنه البلاغيون القدماء بـ (مقتضى الحال) عبّر عنه الأسلوبيون بـ (سياق الموقف) ، وقد مَيّز د. تمّام حسّان بين المصطلحين بقوله : ((هو فرق ما بين السكون والحركة أو ما بين المعيار والتطبيق ، أو بين النمط السلوكي والسلوك نفسه، فإذا قال البلاغيون: ((مقتضى الحال)) فالمعنى هو ما يتطلّبه أَحَدُ الأنماط النوعية للمواقف من رعاية في الكلام ، وهكذا يُمْكنُ للمرءِ أَنْ يُفكّر في (أنواع) من المواقف ، لكلٍ منها مطالبُ أسلوبية))[٢٥].. نخْلُصُ بعد ذلك إلى تقاربِ وجهات نظر البلاغيين القدماء والمحدثين فيما يخصّ الإيجازَ وقد اهتموا جميعاً بما يتعلّق بالإيجاز فهماً وأسلوباً وتعبيراً...

وأنطلاقاً من مقولة أكثم بن صيفي : (البلاغةُ هي الإيجاز) فإنَّ العربَ ومنذُ العصرِ الجاهلي كان الإيجازُ دَيْدِنَهم في شعرهم كما في نثرهم وما أجادَ به القرآنُ الكريم من نصوص تَتّسِم بالإيجاز غنيٌ عن التعريف، وظلّ هذا الملمحُ البلاغيُّ بارِزاً في شعر أدباء العصور في صدر الإسلام ونثرهم وما بعده ، والشواهد على ذلك أكثر من أنْ تُحصى ومنها – على سبيل المثال :–

إعتذارية كعب بن زهير لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ففي أحد أبياتها ، قال:[٢٦]

مَهلا هداكَ الذي أعطاك نافلةَ الـ قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ

وقد تناولَ ذلك د. مصطفى هدّارة بخصوص عبارة (مواعيظ وتفصيل)، فقد أشارَ الشاعرُ الى ما أوحي إلى النبي الكريم من الصفح والعفوِ والسماحة والودِ ونشرِ المحبّة بين الناس ، وقد أجَملَ الشاعرُ كلَّ ذلك بتلك العبارة .. وكذلك عبارتهُ : (وإنْ كَثُرتْ فيّ الأقاويل) فأجَملَ الشاعرُ قِصَّة وشايتهِ للرسول بكلماتٍ قليلة مَثَّلتْ (إيجازَ القِصرَ) أحسنَ تمثيل.. ومثالُ إيجاز الحذفِ في شعر صدر الإسلام ، قول حسّان بن ثابت:[٢٧]

خَيرُ البرّيةِ أتقاها وأرأفَها
بعَد النبي وأوفاها بما حِملا

فقد حذف المبتدأ وتقديره (هو) خير البرية ... والأمثلة كثيرة في العصور اللاحقة.

ثانياً : من بلاغة الإيجاز في مقطعات الفرزدق

إنطلاقاً من الدرس البلاغي الذي يعتمدُ التحليلَ والتذوّق نحاول الإشارة إلى بلاغة الإيجاز في بحث تطبيقي على نماذج من مُقَطّعات الفرزدق التي لم تُنشرْ في ديوانه بطبعاته المختلفة والتي لم نعثرْ على دراسة تخصّ الإيجاز في هذه المُقَطّعات حصراً ... وسنتناولُها حسبَ تسلسلِ حروف اللغة العربية الهجائية كما هي عادة الدواوين في تسلسل الأبيات الشعرية :

الهمزة

-١-

قال الفرزدق :

إنّ السماحَ الذي في الناس كلّهمُ
قد حازَه اللهُ للمفضال أسماءِ
يُعطي الجزيلَ بلا مَـنّ ولا كَدَرِ
عَفْوا ويتبـعُ آلاءً بنعماءِ

البسيط

حُذف الفاعل بذكر (يُعطي) في البيت الثاني ، والتقدير: يعطي أسماءُ الجزيل.. وحُذف الفاعل في عَجز البيت أيضاً وهو فاعل يتبع ، والتقدير: ويَتبعُ أسماءُ آلاءً بنعماء... حُذف الفاعل هنا ولم يؤتَ بما ينوب عنه، والحذف لأغراضٍ متعّددة مختلفة ومنها للتعظيم وهو سببُ الحذف من هذا البيت.وقصة هذا البيت كما يرويها صاحبُ الأغاني تتلخّص بكرم أسماء بن خارجة الفزاري للفرزدق عندما مرّ عليه ، فقال له: (يا فرزدقُ كَسُد شِعْرُك ، واطّرَحتْك الملوكُ ، فَصِرتَ إلى مهنةِ إبلِك ، فقد أَمَرْتُ لك بمائةِ بعير)؛[٢٨] فأنشد الفرزدق هذه الأبيات يمدحُه بها.

-٢-

فلو أَنَّ السَماءَ دنَت لمجدٍ
ومكرمةٍ دَنتْ لهم السماءُ[٢٩]

الوافر

حذفَ الشاعرُ جملةً في الشطر الثاني من البيت ، والتقدير: فلو أنَّ السماءَ دَنَت لمكرمة ، هذا ما يُسمى (الحذف الجُملي) الذي يقوم على اجتزاء تركيب بأكمله وإسقاطه من

التعبير ، وقد أضاف هذا الإيجاز انسياباً وتماسكاً نَصّياً ، وكذلك أفادَ الحذفُ من الناحيةِ الصوتيةِ جماليةً إيقاعيةً ، لأنَّ الحذفَ إنّما (هو التخفيفُ من ثقْلِ الكلام وعبءِ الحديث ، ومَنْ مِنّا لم يُفَضّلْ الخِفَّة على الثقل ، مادامت الخِفّة هي المطلوبة ، والمقامُ يستدعيها والحال يطلبه، ففي الخِفّة تلك تكمن البلاغة ويسمو الكلام حتى يصلَ إلى قوة السِحر في التأثير)[٣٠].

-٣-

يا طالبَ الطِّبِّ من داءٍ تخوّفه

إنّ الطبيبَ الذي أبلاك بالداءِ[٣١]

هو الطبيبُ الذي يُرجى لعافيةٍ

لا مَنْ يدوفُ لك الترياقَ بالماءِ

البسيط

حذفَ الشاعرُ نائبَ الفاعل في صدر البيت الثاني ، والتقدير: يُرجى الطبيب لعافية – وقد حُذِف الفاعلُ في عَجْز البيت ، وتقديره: يدوف الطبيب ، فكان الحذف هنا للتعظيم ولإنسيابيّة البيت ، وما يدلّ على التعظيم مجيءُ الضمير (هو) في بدء البيت وهذا الأسلوب يدلّ على التعظيم ...

التاء

-٤-

يا طَلْحُ أنت أخو النّدى وعقيدُهُ

إنَّ الندى إنْ ماتَ طَلْحةُ ماتا[٣٢]

إن الندى ألقى إليك رِحــالَهُ

فَبِحْيثُ بتَّ من المنازل باتا

الكامل

في صدر البيت الأول حُذف المبتدأ ، والتقدير : (أنت عقَيدهُ) ، وحذفٌ آخرُ في صدر البيت الثاني وهو الفاعل ، والتقدير: (ألقى الندى إليك)، وحذفٌ آخر في عجز البيت الثاني ، وتقديره : فبحيث بتَّ يا طلح ..)

فقد حذفَ الشاعرُ أداة النداء والمنادى (يا طلح) .. وقصةُ البيتين هي: دخولُ طلحةِ بنِ عبيدِ الله سوقَ الظهر ذاتَ يوم فلقي الفرزدق ، فقال: يا أبا فراس اختر عَشْراً من الإبل ، فَفَعل ، فقال : اضْمُمْ إليها مثلَها ، فلم يزل يقول مثلَ ذلك حتى بلغت مائةً ، فقال : هي لك ، فقال فيه الفرزدق البيتين[٣٣].

الجيم

-٥-

فتىً مالُهُ كالبحر يمنعُ صادياً

مِن الرَّي منه كَدْرُهُ وأُجاجه[٣٤]

الطويل

حُذف الفاعل ، والتقدير : يمنع البحرُ صادياً ..

مناسبة البيت : رأى الراغب الأصبهاني أنَّ البحتري أَخَذ بيته الآتي من بيت الفرزدق آنف الذكر ، وبيت البحتري ، هو :

جِدَةٌ يدور البخلُ عن اطرافها

كالبحر يدفعُ مِلْحَهُ عن مائِهِ[٣٥]

الراء

-٦-

صلّى صُهيبُ ثلاثاً ثم أسلَمها
إلى ابن عفّانَ مُلْكاً غيرَ مقصورِ
ولاية من أبي حفصٍ لثالثهم
كانــوا أخِلّاءَ مهدِيّ ومحبورِ[٣٦]

الطويل

حذف الشاعر المضاف إليه ، فالتقدير : صلّى صهيبٌ ثلاثَ صلوات ، فحذف المضاف إليه (صلوات) ، واكتفى بذكر المضاف (ثلاثا) .. وهذا الحذف يُسهِمُ بترشيق العبارة ، وتزويق الأسلوب مما يجعله أكثر وقعاً في نفس المتلقي ، للدلالة على المراد بأوجز لفظ. وصهيب الوارد في البيت هو صهيب الرومي ، وكان (عمر) قد أوصى قبل موته أنْ يصلي عليه صهيب ، وأنْ يصلي بالناس إلى أنّ تُجْمعَ الناسُ على إمام[٣٧]. وقد حذف الفاعل في قوله: (أسلمها) والتقدير: (أسلمها صهيب)..

-٧-

لبيك أبا الخنساء بغلٌ وبغلةٌ
ومِخلاةُ سوء قد أُضيع شعيُرها
ومِجْرَفةٌ مطروحةٌ ومِحَسّةٌ
ومقرعةٌ صفراءُ بالٍ سيورُها[٣٨]

الطويل

قبل إيراد البيتين ذكر ابن قتيبة : (وكان الفرزدق مِعَنّاً مِفَنّاً يقول في كلّ شيء ، وسريعُ الجواب ، فمرّ بقوم ، لهم جنازة ، فقال: ما هذا ؟ فقالوا: مات أبو الخنساء صاحبُ البغِال)[٣٩]..

حُذف الفعل والفاعل أول البيت بمجيء المفعول المطلق (لبيك)، والتقدير: (ألبي تلبية بعد تلبية) ، فحُذف الفعلُ (ألبيّ) والفاعل المتحدث (أنا) وحُذفت أداةُ النداء (يا) ، والتقدير (يا أبا الخنساء) .. فالمنادى يُنصَبُ إذا كان مضافاً ، وقد حُذفت جملة (لبيك أبا الخنساء) قبل (بغلة) وقبل (مخلاة) ، وكذلك في البيت الثاني قبل (مجرفة) ، وقبل (مِحَسّة) ، وقبل (مقرعة) ويأتي حذف هذه الجمل في اللغة طلباً للتخفيف ، وتجنّباً لطول الكلام ، ولمنع التكرار وللنزول نحو الإيجاز والإختصار ..

- ٨ -

كم مِن شريعةِ عَدْلٍ قد سَنَنْتَ لهم
كانت أُمِيْتَتْ وأخرى منك تنتظر[٤٠]

البسيط

مناسبة البيت كما رواها ياقوت : (قال الفرزدق بالكوفة ينعى عمرَ بنِ عبد العزيز)[٤١].

هنا حذف الشاعر جملة كاملة آخر البيت ، والتقدير : (وكم من شريعة عدل أخرى منك تنتظر أنْ تسنّ لهم).. وكان الغرض التخفيف، ولمنع التكرار ولضبط الوزن..

-٩-

عجوزٌ تصلّي الخمسَ عاذَتْ بغالبٍ
فلا والذي عاذَتْ به لا أَضرُّها[٤٢]

الطويل

حُذف المبتدأ والتقدير: (هي عجوز) والضمير المنفصل (هي) حُذف لتعظيم مكانة العجوز ، ولصحة الوزن.. وقد حُذف المضاف إليه أيضاً، والتقدير: (الخمس صلوات).. ذكره المُبَرّد، في باب مَن استجار بقبر غالب فأجاره الفرزدق ، وذكر أنّه من قصيدته التي يهجو بها بني جعفر بن كلاب[٤٣]. وقد حذف الفاعل آخر البيت ، وتقديره : (عاذَتْ العجوز به)..

السين

-١٠-

أَبْلِغْ بني عَبسٍ فإنّ تجارَهُمْ
لُؤْمٌ وإنّ أباهُمُ كالهجْرِسِ[٤٤]

الكامل

حُذف المنادى مع أداة النداء ، والتقدير: (أبلغ يا أيها المخاطَب بني عبسٍ ..) ورد في كتاب المصايد والمطارد : (الذَكرَ هو الثعلب ، والثرملة أنثاه ، والهجرسُ وَلَدهُ ، واستعاره الفرزدق ، فقال : ..)[٤٥].

الفاء

-١١-

وأصبح مُبْيَضُّ الصقَيعِ كأنّه
على سَروات النّيب قُطْنٌ مُنَدّفُ[٤٦]
وجاء بُصّرادٍ كأنّ صقيعَه
خلال البيوت في المنازل كُرْسُفُ

الطويل

حُذف الفاعل في البيت الثاني ، والتقدير: (جاء مُبْيَضُّ الصقيع بُصّرادِ ..)

القاف

-١٢-

ومستنبحٍ طاوي المصير كأنّما
يخامرهُ من شدَّةِ الجوع أولَقُ[٤٧]
اذا متُّ فابكيني بما أنا أهلهُ
فكلُّ جميلٍ قُلتِ فِيَّ يُصدّقُ
وكم قائلٍ مات الفرزدقُ والنّدى
وقائلةٍ مات الندى والفرزدَقُ

الطويل

حُذف حرف (ربّ) الشبيه بالزائد في أول البيت ، وحذف الاسم المجرور به والتقدير : (وربَّ رَجلٍ مستنبحٍ ..) فحذف الموصوف (رجل) واكتفى بالصفة (مستنبح) .. المستِنبح : الرجل يضلّ الطريق ليلاً فينبح لُتجيبَه الكلابُ ، فإذا أجابته أصواتُها أتى الحيَّ فاستضافهم ، والطاوي : الضامر البطن من الجوع[٤٨].

إذا متُّ فابكيني بما أنا أهلهُ
فكلُّ جميلٍ قلتِ فِيَّ يُصدّقُ

حُذف الموصوف (قول) واكتفي بالصفة (جميل) والتقدير: (فكل قول جميل قلت..) ، هذا النوع من الحذف يَتصِف بصفة جَمالية مُتحقِقة من طبيعة التركيب ، وهو عند السجلماسي : (مهيع رحب ، وسبيلٌ نهج)[٤٩]. ووقع حذفٌ آخرُ نهايةَ البيت إذ حُذف الفاعل والمفعول به ، والتقدير: (يُصَدّقُه الآخرون) فحذف المفعول به (الهاء) والفاعل (الآخرون)

وكم قائلٍ مات الفرزدقُ والنّدى
وقائلةٍ مات النّدى والفرزدَقُ

حُذف الفعل : والتقدير: (وكم قائلٍ قال : مات ..)وحذفت كلمات كثيرة من جملة واحدة ، والتقدير: (وكم قائلٍ قال : مات الندى ..) وفي الشطر الثاني حُذفت (كم الخبرية) والفعل (قالت) ، فالتقدير: (وكم قائلةٍ قالت مات ..) وحذفت كلماتٌ أكثر آخر البيت ، والتقدير: (كم قائلةٍ قالت مات الفرزدق) فكان بيتاً رشيقاً جميلاً وقع الحذفُ في محلّه فجسَّد بلاغةَ الحذف بذلك.

اللام

-١٣-

إذا حَلَّ المدينةَ فارجموه
ولا تُدْنوه من جَدَثِ الرسول[٥٠]

الوافر

هذا البيت لجرير لمّا بلغه إخراج الفرزدق من المدينة ، فأجابه الفرزدق:

نَعَتَّ لنا من الورهاء نعتاً
قَعُدْتَ به لأُمِك بالسبيل

حَذَفَ المنادى مع أداة ندائه ، والتقدير : (نَعَتَّ يا جريرُ لنا ...) وكذلك في الشطر الثاني حذف ، تقديره : (قَعُدْتَ به يا جرير لأُمِك...)

فلا تبغي إذا ما غاب عنها
عطيةُ غيرَ نَعْتِكَ من حَليلِ

أيضاً حذف المنادى مع أداة ندائه ، والتقدير: (فلا تبغي يا جريرُ إذا..) وكان الحذفُ اختصاراً وجمالاً وضرورةً شعرية لاستقامةِ الوزن ..

-١٤-

شيوخٌ لا تهشُّ إلى المعالي
وفتيانٌ كأبعار الفِصالِ[٥١]

الوافر

حُذف المبتدأ، والتقدير : (هم شيوخ)، وحذف المفعول به، والتقدير (لا تهشُّ أفعالهم) ، وحذف المبتدأ في الشطر الثاني ، والتقدير : (وهم فتيان).

-١٥-

أصبحَ في قيدِك السماحَةُ والـ
سجودُ وحَمْلُ الدّياتُ والأفضالُ[٥٢]

الخفيف

حذف الفعل الناقص مع خبره ، والتقدير : أصبح في قيدك الجود .. وهكذا مع حمل الدّيات والأفضال ، وكانت مناسبة البيت دخول الفرزدق على يزيد بن المُهلَّب في الحبس فقال: .. البيت ، فقال له : (أتمدحُني وأنا على هذه الحال؟! قال : أحْببتكَ رخيصاً فأسلفتك).

- ١٦ -

إنْ كنتِ لا تدرين ما الموتُ فانظُري
إلى هانئٍ في السوق وابنِ عقيلِ
إلى بَطَلٍ قــد هشَّم السيفُ وجْهَهُ
وآخَرَ يهوي مــن طُمار قتيلِ

حذف الفعل والفاعل أول البيت ، والتقدير : (انظري) وحذف حرف الجر والفعل

والفاعل في الشطر الثاني ، والتقدير : (وانظري إلى آخرَ يهوي ...)

تَرَيْ جسداً قد غيَّرَ الموتُ لَونَه ونَضَحَ دمٍ قد سالَ كلَّ مسيلِ[٥٣]

حذف الفعل والفاعل في عجز البيت ، والتقدير : (وتَرَيْ نَضْحَ دمٍ) ، وحذف آخر ، تقديره : (قد سال نضح الدم كلَّ مسيل).

الميم

-١٧-

وقِدْرٍ كحَيزوم النعامة أُحْمِشَت

بأجْذالِ خُشْبٍ زال عنها هشيمُها[٥٤]

الطويل

حذف حرف جر شبيه بالزائد ، والتقدير : (وربَّ قِدْرٍ كحيزوم ...)

النون

-١٨-

إذا ما الدهر جَرَّ على أُناسٍ

كلاكِلَهُ أناخ بآخرينا[٥٥]

الوافر

حذف الفاعل والمفعول به ، والتقدير: (أناخ الدهرُ كلاكِلَه)

-١٩-

لولا ابنُ عتبةَ عمروٌ والرجاءُ له

ما كانتِ البصرةُ الرعناءُ لي وَطَنا[٥٦]

البسيط

حذف خبر المبتدأ ، والتقدير : (لولا ابنُ عتبةَ عمروٌ موجود) ، وحذف الخبر آخر صدر البيت ، والتقدير : (والرجاء كائن له ..) يحذف الخبر عند وجود قرينة دالّة عليه ، وذلك لأنَّ السياقَ يُسْهِم في تعيين المحذوف ... والمقصودُ هنا المدح ..

-٢٠-

إذا ما قيل يالَحُماةِ قومٍ

فنحن بدعوةِ الدّاعي عُنينا[٥٧]

حذف الفاعل ، والتقدير : (إذا ما قال أحدٌ ..)

الهاء

-٢١-

شَبَّتْ لِعَيْنِكَ سَلمى عند مغفاها

فبتُّ مُنزعجاً مِن بعد مرآها[٥٨]

وقلتُ : أهلاً وسهلاً ما هداك لنا

إن كنتَ تمثالها أو كنتَ إياها

البسيط

حذف الفعل والفاعل وجيء بالمفعول المطلق ، والتقدير : (حَلَلْتَ أهلاً، وَرَحَلْتَ سهلا) .. أو (قدمت أهلاً وحَلَلْتَ سهلا).

الياء

-٢٢-

فإنْ تنجُ منيّ تَنْجُ من ذي عظيمةٍ

وإلاّ فإنّي لا إخالُك ناجيا[٥٩]

حذف المنادى مع أداة ندائه والتقدير : فإن تنجو (يا فلان مني..)، وفي الشطر الثاني حذف جملة الشرط ، والتقدير : (وإلاّ تنجو مني فإنيّ لا إخالك ناجياً) أشرنا إلى أبيات من مُقَطّعات الشاعر الفرزدق نحسب أنها غير موجودة في ديوانه بطبعاته المختلفة ..

واخترنا منها ما نعتقد بوجود إيجاز فيها ...

الخاتمة

القراءة الواعية للنص الشعري تقتضي تعامل تدبُرٍ وتدبير ؛ وليس تعامل استعادة وتدوير ، وعندما نتناول مرحلةَ أدبية قديمة تتمثّل بالعصر الأموي نلحظ مميزاتِها ، وأسلوبَها الخاص لنسجِلَ النقاط الآتية في نهاية البحث :

- بيّن البحث أنّ ظاهرة الإيجاز في الشعر العربي تؤكد قدرة البلاغة على التجدّد.
- وضّح البحث أنّ الإيجاز بنوعيه الرئيسين : إيجاز الحذف وإيجاز القِصَر.
- أكد البحث أن الحذف الظاهر مقيّد بشروط ، ويقع لأسباب متعدّدة يُحُدّهُا السياقُ والقرينةُ.
- أشار البحث إلى تحكمّ الذوق الشعري العربي بترجيح الحذف من عدمه.
- أثبتَ البحث ضرورة التأكيد على حركة حروف إيجاز القِصَر ، فهو بكسر القاف وفتح الصاد ، لا كما يذكره البعض بفتح القاف وسكون الصاد فذلك (القَصْر) أسلوب نحوي خاص.
- بيّن البحث أنّ الشاعر المفلّق الفرزدق تميّزت نتاجاته الشعرية بأسلوبٍ متينٍ وألفاظٍ معجميةٍ قويةِ الجَرْس حتى عُدَّ حجّةً عند نقادٍ قدامى كثيرين.
- أشار البحث إلى ما يسمى حديثاً بالتكثيف والإيحاء والتوالد هو ما سمي قديماً بالإيجاز.

الهوامش

(١) النظرية الشعرية ، جون كوهين: ٣١.
(٢) نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريابوتويلو: ٢٤.
(٣) موسوعة قبيلة بني تميم – محمد عبد الرضا: ٢٣٠.
(٤) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (وَجَزَ): ٤٧٧١/٦.
(٥) مفتاح العلوم للسكاكي : ٢٧٦.
(٦) ينظر : سر الفصاحة : ٢١٣.
(٧) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٧٦.
(٨) معجم المصطلحات العربية وتطورها ، د. أحمد مطلوب : ٣٦١/١ .
(٩) ينظر: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن): ٧٦.
(١٠) في جمالية الكلمة ، دراسة جمالية نقدية بلاغية ، د. حسين جمعه: ١١.
(١١) ينظر : لسان العرب : مادة (حَذَفَ).
(١٢) ينظر : كشّاف إصطلاحات الفنون : ٥٦/٢–٥٧.
(١٣) الخصائص : ٣٦٠/٢.
(١٤) (م. ن) و (ص. ن).
(١٥) نقد الشعر : ٢٤٥.
(١٦) يُنظر : الإتقان في علوم القرآن : ١٧٠/٣–١٧٢.
(١٧) يُنظر : م. ن : ١٨٠/٣–١٨٤
(١٨) اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب ، د. الأخضر جمعي : ١٧٨.
(١٩) معجم المصطلحات العربية وتطورها ، د. أحمد مطلوب : ٣٦١/١
(٢٠) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري : ٣٣٩.
(٢١) إعجاز القرآن ، الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر : ٩٠.
(٢٢) ثلاث رسائل : ٧٧.
(٢٣) حسن الصنيع في علم المعاني والبيان والبديع.
(٢٤) فن البلاغة ، عبد القادر حسين : ١٩٥.
(٢٥) مقال بعنوان (المصطلح البلاغي – تقديم في ضوء البلاغة الحديثة ، مجلة فصول، المجلّد السابع ، ع ٤٣/سبتمبر/١٩٨٧م : ٢٩ .
(٢٦) الشعر العربي في القرن الأول الهجري ، د. مصطفى هدّارة : ٩٤.
(٢٧) ديوان حسّان بن ثابت : ١٧٤.
(٢٨) يُنظر : الأغاني : ٧٣٠/٢١.
(٢٩) محاضرات الأدباء ، الراغب الأصفهاني : ١٦٠/١.
(٣٠) الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز ، مختار عطيه : ٤٢.
(٣١) محاضرات الأدباء ، الراغب الأصفهاني: ٢٩٥/٤.
(٣٢) يُنظر : التذكرة الحمدونية :

٣١٦/٢.

(٣٣) ينظر : (م . ن) و (ص. ن).

(٣٤) ينظر : محاضرات الأدباء : ٤٨٥/٢.

(٣٥) ينظر : (م . ن) و (ص. ن).

(٣٦) ينظر : البيان والتبيين : ٣٦٣/٣.

(٣٧) ينظر : (م . ن) و (ص. ن) ، ومعنى كلمة المحبون : المكرّم إكراماً مبالغاً فيه.

(٣٨) الشعر والشعراء : ٣٨٤/١.

(٣٩) (م . ن) و (ص. ن).

(٤٠) معجم الأدباء ، ياقوت : ٩٩/٧.

(٤١) (م . ن) و (ص. ن).

(٤٢) الكامل في اللغة والأدب ، المُبَرّد : ٣٢٦.

(٤٣) (م . ن) و (ص. ن).

(٤٤) المصايد والمطارد ، أبو الفتح محمود بن الحسن الكاتب : ١٤٩.

(٤٥) (م. ن) و (ص. ن).

(٤٦) محاضرات الأدباء: ٤٤٦/٤ ، البيت الثاني فقط ورد في ديوانه : ٥٥٩.

(٤٧) الحماسة البصرية : ١٣٠٦/٣ (المقطّعة ١١٩٤).

(٤٨) (م. ن) و (ص. ن).

(٤٩) المنزع البديع : ٢٠٧.

(٥٠) الأغاني : ٧٤٣/٢١-٧٤٤.

(٥١) محاضرات الأدباء : ٧١٣/١.

(٥٢) الشعر والشعراء : ٣٩٠/١.

(٥٣) تاريخ الطبري : ٥٨٤/٤.

(٥٤) الحيوان : ٤٦/٢.

(٥٥) العِقد الفريد : ٣٠٣/٤.

(٥٦) مجمع الأمثال : ٣٥٤/١.

(٥٧) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٨١/١.

(٥٨) طيف الخيال : ٢٥٥.

(٥٩) الأغاني : ٦٩٦/٢١.

المصادر والمراجع:

- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج٢ ، دار المعرفة ، بيروت، (د.ث).
- إعجاز القران ، الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٥، (د.ط)، ١٩٨١م.
- الأغاني ، أبو الفرج الاصفهاني (علي بن الحسين ت ٣٥٦ هـ) ، تحقيق د. قصي الحسين ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٢م.
- البيان والتبيين ، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ، ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت (د. ت).
- تاريخ الأمم والملوك ، الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ) تحقيق عادل عبد الجبار االشاطي، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ٢٠٠٠ م.
- التذكرة الحمدونية ، ابن حمدون (ابو المعالي محمد بن يزيد ت ٢٨٦ هـ) ، تحقيق محمد الديباجي ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، ١٩٧٦م.
- حسن الصنيع في علم المعاني والبيان

والبديع ، الشيخ محمد البسيوني ، مطبعة ديوان عموم المعارف ، ١٨٨٠م (د. ت).
• الحماسة البصرية ، صدر الدين البصري (علي بن أبي الفرج بن الحسن ت ٦٩٥ هـ)، تحقيق د. عادل سليمان، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩٩ م.
• الحيوان ، الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت ٢٥٥ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د. ت).
• الخصائص ، ابن جنّي ، تحقيق محمد علي النجار ، ج٢ ، دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٥٢ – ١٩٥٦ م.
• ديوان حسّان بن ثابت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ م.
• سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ت ٤٤٦ هـ ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط١، ناشرون ، لبنان (د. ت).
• شرح ديوان الحماسة لأبي تمّام ، المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ت ٤٢١ هـ) علّق عليه غريد الشيخ ، منشورات بيضون ، بيروت ، ٢٠٠٣ م.
• الشعر العربي في القرن الأول الهجري ، د. مصطفى هدّارة ، دار العلوم العربية، بيروت ١٩٨٨ م.
• الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ج٢ ، دار المعارف ، بيروت، ١٩٨٢ م.
• طيف الخيال ، الشريف المرتضى ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م.
• العِقد الفريد، ابن عبد ربهِ الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد، ت ٣٢٨هـ) تحقيق د. محمد التونجي ، ط٢ ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٦ م.
• في جمالية الكلمة (دراسة بلاغية نقدية) حسين جمعة ، منشورات إتحاد الكتّاب العربَ (د. ت)
• الكامل في اللغة والأدب ، المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق محمد ابي الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧م.
• فن البلاغة ، عبد القادر حسين ، مطبعة الأمانة ، ١٩٧٧ م.
• كتاب الصناعتين، أبو الهلال العسكري ، تحقيق مفيد قميحة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨١ م.
• كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨ هـ) ، تحقيق رفيق العجم ، علي دحروج ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، ١٩٩٦ م.
• لسان العرب ، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١ هـ) عُني بتصحيحه أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، ط٣ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د. ت).

- اللفظ والمعنى في التفكير النقدي ، د. الأخضر جمعي ، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، (د. ت) ، (د. ط).
- مجمع الأمثال ، الميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري ، ت ٥١٨ هـ) تحقيق د. قصي الحسين ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٣ م.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء ، الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضّل ت ٥٠٢ هـ) تحقيق د. رياض عبد الحميد مراد ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٤ م.
- المصايد والمطارد، كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسن الكاتب ، ت بعد ٤٥٨ هـ) تحقيق د. محمود أسعد أطلس ، دار اليقظة ، بغداد ١٩٥٤ م.
- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله ت ٦٢٦ هـ) ، لجنة من المدققين ، ط٣ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٤٨ م.
- معجم المصطلحات العربية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٧ م.
- مفتاح العلوم ، السكاكي ، ضبطه وكتب هوامشه ، وعلّق عليه نعيم زرزور ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨ م.
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، تحقيق علّال الغازي ، مكتبة المعارف، الرباط ١٩٨٠ م.
- موسوعة قبيلة بني تميم ، محمد عبد الرضا الذهبي ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٤م.
- النظرية الشعرية ، جون كوهين ، ترجمة أحمد درويش ، دار غريب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.
- نظرية اللغة الأدبية ، خوسيه ماريا ثوليو غيفانكوس ، ترجمة حامد أبو أحمد ، سلسلة الدراسات النقدية ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٩٢م.
- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ، ط١ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٧٨ م.
- النكت في إيجاز القرآن الكريم (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، أبو حسن الرمّاني ت ٣٨٦ هـ) ، تحقيق محمد خلف الله ، د. محمد زغلول سلام ، دار المعارف، ١٩٦٨ م.

<u>الدوريات</u> :

- مقال بعنوان (المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة ، مجلّة فصول ، المجلّد السابع ، العدد ٤٣ ، سبتمبر ، ١٩٨٧ م.